

فمن الأمور المضحكة في هذا السياق أن الكثير من العامة يتصورون أن الماشغولين بهذا العلم وظيفتهم حل ما يطرأ من خلافات ومشكلات بين الناس، وأنهم يتمتعون بقدرات عالية خاصة بالتواصل مع الآخرين وعلى القدرة على إقامة علاقات اجتماعية واسعة مع الآخرين.

ورغم التطورات التي ارتبطت بهذا العلم، وبشكل خاص بالنظر للأجيال الجديدة التي درست في الخارج واطلعت على التراث النظري والمنهجي الحديث، فإن الأمر اللافت للنظر هنا أن المدرسة الأميركية بالذات قد لعبت دوراً كبيراً في تجريد العلم من ثوريته وقدرته على الإسهام في تغيير الواقع الاجتماعي وتحويله إلى مجرد أرقام وإحصائيات.

فمن الأشياء السيئة السمعة المرتبطة بواقع العلم في العقود الأخيرة هو ارتباطه غير المسبوق بالعدوى الأميركية التي تحيل البحث العلمي إلى مجرد أرقام وجداول وإحصائيات، بدون تلك القدرة على التحليل العميق والتنظير الشامل.

لا تحتاج أرقام علم الاجتماع في عالمنا العربي المعاصر لكل هذه الأعداد، ولا يجب أن تسمح سياسات القبول في كليات الآداب بمثل هذه الأعداد. كل ما تحتاجه هذه الأرقام هو أعداد محدودة في كل جامعة، تكون على دراية مسبقة بماهية هذا العلم والأدوار المرتبطة به.

كما تكون محددة مسبقاً من قبل الهيئات البحثية والمؤسسات الرسمية المختلفة التي تحتاج لمثل هؤلاء الخريجين. وبدون هذا التنسيق بين المؤسسات البحثية والجهات الرسمية وبين الجامعات سوف تسهم الجامعات في تخريج أعداد جديدة لا تفهم حقيقة هذا العلم ودوره البحثي الهام،

وسوف يظل خريجو أقسام علم الاجتماع لا يجدون مكاناً حقيقياً أثناء تعيينهم يليق بهم ويرتبط بما درسه وبما تخصصوا فيه. وأخيراً سوف يظل البعض يعتقد أنه يجدد ويقدم أطراً حديثة للتدريس والتطوير بينما هو في الواقع يساهم بدرجة أو بأخرى في تخريج المزيد من العاطلين الأمر الذي يفاقم من حجم المشكلة ويزيد من توابع آثارها السلبية.

مؤسس علم الاجتماع هو العلم الذي يهتم بدراسة الخصائص والتفاعلات البشرية المختلفة، ويدرس العلاقات بين الأفراد والجماعات بحسب البيئة السكانية للمجموعات والأفراد، ويعتبر الخبراء في مجال علم الاجتماع الباحث أوغاست كونت المؤسس الغربي لهذا النوع من العلوم، إلا أن الباحث والمؤرخ عبد الرحمن بن خلدون هو مؤسس هذا العلم بحسب رأي الكثير من الخبراء العرب في هذا المجال، فقد استطاع ابن خلدون بدكائه ودقة ملاحظاته التي جمعها في مقدمته التي اشتهرت بمقدمة ابن خلدون والتي تحدث فيها بشكل مفصل عن علم العمران أو الاجتماع البشري وجميع الظواهر الانسانية المرتبطة ببعضها، فكانت نظرية ابن خلدون النظرية الأكثر وضوحاً وشمولاً.

[١] **نظرية ابن خلدون:** يعتبر ابن خلدون الباحث الاجتماعي الأوفر حظاً بين أبناء جلدته من العرب والمسلمين ومن العلماء والباحثين الغربيين، فقد أجمعت مجمل الدراسات في الشرق والغرب على ألمعيته وريادته في المجالات المعرفية التي لم يقتحمها أحد من الفلاسفة والمؤرخين قبله، فقد فسرت نظرية ابن خلدون علم الاجتماع "العمران" بشكل مبسط، فشرح من خلالها واقع الاجتماع السياسي من منظور التجارب التاريخية، إن الإنسان بحسب شرح ابن خلدون كائن اجتماعي لا يستطيع العيش إلا في مجتمعات وليس مهياً للعيش وحده، فالإنسان مخلوق يملك مصيره ويتحمل مسؤوليته الفردية داخل مجتمعه الإنساني، بحيث يصبح تحقيقها مسؤولية جماعية في العمران الاجتماعي، وقد أصلت نظرية ابن خلدون إشكاليات علم الاجتماع إلى ثلاثة أقسام وهي:

[٢] **حاجة الإنسان للاجتماع والعمران:** إن الإنسان مخلوق اجتماعي مدني بطبيعته، وإن قوته وأمانه لا يتحقق بقدرات شخصية فهو بحاجة إلى تكاتف جماعي مع بني جلدته ليحافظ على ديمومته وبقائه وقوته، فالاجتماع والعمران حاجة بشرية بالسليقة، ولكنها بحاجة إلى ما يشد هذا النسيج الاجتماعي، وبحسب ابن خلدون هو "المُلك". حاجة الإنسان إلى دولة لانتظامه وعمرانه: تعتبر الدولة الحاضنة الوحيد لا استقرار العمران ويدور في محورها الاجتماع البشري، فتحدث بشكل مفصل ومطول عن نشأتها وازدهارها وهرمها ووهنها ثم انقراضها، فالدولة بحسب نظرية ابن خلدون مقومة العمران وهي الحافظ لوجوده، ولكنه اعتبر أيضاً أن الدولة امتداد زماني ومكاني

لعصبية ما. فاعلية العمران ودور العصبية في ضبطه: لم يختلف الباحثون في أن متن ابن خلدون أساسه العصبية، وأن نظريته تمحورت حول بلاد المسلمين وكانت مصدر تفسيره للقوة التي حركت العمران والدولة، فتحدث عن اللحمة والنسب وعن العصبية وغاية العصبية، وعن علامات الملك وطباع الملك، وغير ذلك من مقومات العصبية وأطوار الدولة والترنم والانتقياد والف ساد وخراب العمران.

[٢] أقوال ابن خلدون من أهم ما جاء في نظرية ابن خلدون أن استمرار الدول وعمارتها للأرض يحتاج إلى توازن بين الراعي "السلطان" والرعية، وهو الرابض بين السياسي والمدني، فكانت رجاحة عقله ورأيه واضحة في مجمل كتابه، الذي عرف بعنوان: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ومن أقواله المشهورة:

[٣] إن تنظيم الحياة الاجتماعية، وتصريف أمور الملك يتطلب الرجوع إلى قوانين سياسية مفروضة يسلمها الكافة وينقادون إلى أحكامها.

إن سبب العصبية القبلية بأن الحضارات الأخرى تصعب عليها مخالطة الأعراب بسبب البيئة القاسية التي يعيشونها، فجعلهم ذلك منعزلين.

الحاكم الظالم يظهر له الشعب الولاء، ويبطن له الكره والبغضاء، فإذا نزلت به نازلة أسلموه ولا يبالون.

إذا رأيت الدول تنقص من أطرافها، وحكامها يكثرون الأموال فدق ناقوس الخطر.

غاية العمران هي الحضارة والترنم، وإنه إذا بلغ غايته انقلب إلى الفساد وأخذ في الهرم، كالأعمار الطبيعية للحيوانات.

اعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتم فائدة الاقتداء.

إنّ الاجتماع الإنساني ضروري، فالإنسان مدني بالطبع، أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدنية، ومن العجز عن استكمال وجوده وحياته، فهو محتاج إلى المعاونة في جميع حاجاته أبداً بطبعه .